عند بفعل العبد وهو ايضا يستدعي ان يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق الرفع بمشية الله تعالى
تنبيها على ان السبب الحقيقي هو المشية من حيث انها للافعال الموجبة لرفع الدرجة وان
الافعال المذكورة وسايط في حصول الرفع فكما يصح تعليق الرفع بالوسايط المعتبرة فيه يصح
تعليقه بالمشية التي هي السبب لتلك الوسايط والافعال والحاصل ان قوله تعالى لرفعناه بها
يدل على ان سبب رفع درجة العبد هو التمسك بالايات والعمل بمقتضاها الا انه تعالى جعل المشية
سببا لرفعها حيث علقه بها تنبيها على ان السبب الحقيقي لرفعها هو المشية فانه تعالى اذا شاء ان
يرفع درجة العبد في الفوز برفعه للتمسك بالايات والعمل بمقتضاها فيدخل الجنة بسبب اعماله المسببة عن المشية
فالسبب الحقيقي لرفع الدرجة هو المشية وان الاعمال اسباب ظاهرة له وكان المناسب لجعل المشية
سببا لرفع الدرجة ان يستدرك بها بان يقال لكنا لم نشاء ذلك فكان من المخطين درجة على طريق
استثناء نقيض المقدم لينتج نقيض التالي الا انه استثنى السبب الظاهري وهو فعل العبد وقيل
لكنه اخلد الى الارض لكونه في قوة ان يقال لكنه لم يتمسك بالايات والدلايل ولم يعمل بمقتضاها بل
اتبع هواه بناء على ان انتفاء فعل العبد وارتفاعه يستلزم انتفاء سببه الذي هو المشية فكان قوله
اخلد الى الارض في قوة ان يقال لكنا لم نشاء رفع درجته وكان ابلغ منه لان الاخلاد الى الارض
كناية عن الاعراض عن ملازمة الايات والعمل بمقتضاها والكناية ابلغ من التصريح فمحصول الاية
انا لو شئنا رفع درجته لوفقناه للعمل بمقتضى الايات ورفعناه بسلك الاعمال ولكنا لم نشاء
منه ذلك وهي تدل على ان الكائنات باسرها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها
بمشية الله تعالى وهذه الاية من اشد الايات على العلماء لانه تعالى بعد ان خص هذا الرجل
بعلم اياته وسهم هذا المهتدين والضالين وعلمه الاسم الاعظم وخصه بالدعوات المستجابات
لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب وذلك على ان كانت نعم الله اكثر اذا اعرض عن
متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعده من الله تعالى اعظم واليه اشار عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد
هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عليه السلام ما ذئبان جايعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء
على المال والشرف لدينه كان السلف يخافون من طاعته لم يجد لامراته واحرج الخطا من اهل زمانه
ولا شيء اضر لاهل زمانه بالعلم منها قيل كان لبلعم امراة يحبها ويطيعها فجمع قومه هدايا عظيمة فاتوا بها

اليها وقبلتها فقالوا قد نزل بنا ما ترين فكلمي بلعم في هذا فقالت لبلعم ان لهؤلاء حقا وجوارا
عليك وليس منك ان تخذل جيرانه عند الشدايد وقد كانوا محسنين اليك وانت جدير ان تكافئهم
وتهتم بامرهم فقال لولا اني اعلم ان هذا الامر عند الله لاجبتهم فلم تزل به حتى صرفته عن رايه فدعا عليهم
وروي انه لما انقضت مدة التيه اقبل موسى وقومه وحاربوا اهل تلك البلدة وغلبوهم
وقتلوا منهم واسروا واتوا بلعم اسيرا فقتل وجاؤوا من العطايا التي قبلها من قومه الصحائف
ذهبا مملوءة ورقا وغنموها ثم انه تعالى ضرب له مثلا فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث وذلك ان بلعام زجر ونهي عن الدعاء على موسى عليه السلام حتى خاطبته اتانه التي
كان يركبها وذلك ان امراته لما فتنته ركب حماره فتوجه الى جبل مشرف على بني اسرائيل ليطلع عليه
فيدعو على بني اسرائيل فلما سار غير بعيد وقفت الاتان وامتنعت بان سقطت الى الارض عن
المسير فنزل عنها فضربها فقامت فلم تسر الا قليلا حتى سقطت على جنبها ففعل كما فعل اولا
فقامت ولم تسر الا قليلا حتى سقطت فاذن لها حتى كلمته فقالت يا بلعم الى اين تمر وقد
بما فعلت فلا تظلمني انظر الى بين يديك الا ترى الملائكة امامي يردونني عن وجهي هذا تقول
اتذهب الى نبي الله تعالى والمؤمنين يدعو عليهم بلعنهم فخلا سبيلها ثم انطلق راجلا حتى اشرف على الجبل
مشرف على بني اسرائيل فجعل يدعو عليهم فكان لم ينزجر بزجر الحمار وما سمع منها من حجر الملائكة اياها
قال الله تعالى في حقه فمثله كمثل الكلب فكما ان الكلب يلهث دائما طردته او خليته على حاله فكذا
هذا الكافر ان زجرته لم ينزجر وان تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب فانه
لضعف قلبه وشدة حرارته دائم اللهث بخلاف ساير الحيوانات فانه انما يلهث عند تحمل
المشقة العظيمة كالاعياء والعطش الغالب واما الكلب فانه يلهث في حالتي الراحة والكلال
قوله والمهوت ادلاع اللسان اي لعراضه يقال دلع الرجل لسانه فاندلع اي اخرجه فخرج ودلع
لسانه اي خرج يتعدى ولا يتعدى وهو بالدال المهملة قوله والتمثيل واقع موقع التمثيل اللازم التركيب
يعني قوله تعالى فمثله كمثل الكلب واقع موقع قوله لحططناه ابلغ حط ووضعناه منزلته الذي هو
لازم لمدلول قوله ولكنه اخلد الى الارض فانه بمنزلة استثناء نقيض المقدم ليثبت لازم الذي هو
انتفاء التالي فان انتفاء الملزوم يستلزم انتفاء لازمه فلازم التركيب هو قولنا فلم نرفع درجته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1